النشـــــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٤٦ / ٢٠٠٠

الأحد ١٢ تشرين الثاني

تذكار أبينا الجليل في القديسين

يوحنا الرحيم

رئيس أساقفة الاسكندرية

وأبينا البار نيلُس

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر العاشر

الـــرســـالـــة (٢ كورنثوس ٩ : ٦ ١١)

الإنـــجـــيـــل (لوقا ١٠ : ٢٥ –٣٧)

+ القديس يوحنا الرحيم

تُعيِّد الكنيسة المقدسة في الثاني عشر من تشرين الثاني لتذكار أبينا الجليـل في القديسين يوحنا الرحيم بطريرك الإسكندرية الذي نذكـــره فـــي صـــلاة كســـر الخبزات الخمس في خدمة الغروب وفي طلبة «خلِّص يا رب شعبك» في صـــلاة السحر. وقد سُمي بالرحيم لأنه لم يرد محتاجاً أو فقيراً وذلك تلبيةً لدعوة الـــرب «كل من سألك فاعطه» (لوقا ٦:٣٠).

وُلد القديس يوحنا عام ٥٥٥ في قرية أماثوس القبرصية لوالدين مسيحيين ربياه على التقوى ومحبة الله ووفرا له قسطاً مهماً من الدراسة. لما صار شاباً أزوجاه عنوةً، وما لبثت أن توفيت زوجته وأولاده (لا نعرف كيف) وعاد وحيداً وتفرغ لخدمة المساكين ومؤاساتهم، حتى انه باع كل ما يمتلكه ليوزعه على المساكين وصار مثلهم لا يمتلك شيئاً.

شاع صيته وبلغ عدداً من البلدان، حتى انه عندما شُغر الكرسي الإسكندري طالب به الإكليروس والشعب بطريركاً عليهم. رفض بداية الأمر إلا انه أذعن أخيراً نزولاً عند رغبة الملك نيقيتا.

فور وصوله إلى الإسكندرية جمع أعوانه والكهنة وطلب منهم لائحة بأسماء «أسياده» في المدينة. ولما سألوه من يرغب بالضبط، قال لهم: «الفقراء والمتسولون هم أسيادي، لأنهم وحدهم قادرون على مساعدتنا، وهم الذين يمنحوننا ملكوت السموات». جمعوا له سبعة آلاف وخمسماية اسم، فأمر بإطعامهم من صندوق البطريركية، وكان فيه ثمانية آلاف ذهبية.

لم يخف أن ينضب المال لأن ثقته بالله كانت لا توصف رغم انتقادات الكثيرين وتوافد المعوزين من كل مكان إلى الإسكندرية بعدما سمعوا بأفعاله. وكان الله يرسل له دوماً مئة ضعف ما يعطي لكي يوزع على المساكين أكثر. ويُحكى انه طلب في إحدى المرات من مساعديه إعطاء أحد الفقراء خمس عشرة ذهبية، لكن هؤلاء أعطوه خمس ذهبيات. وفي الغد أرسلت له إحدى الأرامل خمسماية ذهبية. تعجب يوحنا ان الله أرسل له فقط خمسماية ذهبية وليس ألف وخمسماية، وذلك مئة ضعف الخمس عشرة ذهبية. ولما استفسر عن الأمر علم ان مساعديه لم يعطوا الفقير إلا خمس ذهبيات، وعلم من الأرملة أنها كانت تنوي إعطاءه ألف وخمسماية إنما أحست بشيء داخلها يحثها على تغيير الرقم إلى خمسماية.

لم يكن يوحنا يسأل عن استحقاق الأشخاص المعونة، رغم ان بعضهم كانوا يأتونه بثياب لا تدل على فقر. ولما علم ان بعض المحتاجين لا يُسمح لهم بالوصول إليه، صار يجلس يومي الأربعاء والجمعة على باب الكنيسة لملاقاة المحتاجين. ويُحكى ان أحد الأشخاص جاءه مستجدياً عدة مرات وفي كل مرة كان يغيِّر منظره لكي لا يعرفه البطريرك يوحنا، ولما لفته أحد الشمامسة إلى رياء الرجل قال: «اعطوه الآن إثنتي عشرة قطعة فلعلَّه المسيح جاء يمتحنني». كان يرى المسيح في وجه كل فقير. لم يكن يرضى اقتناء شيء لا يستطيع الفقراء

الحصول عليه. حتى ان أحد أثرياء الإسكندرية أهداه ملحفة ثمينة بعدما لاحظ ان ملحفته رثة. استعملها لليلة واحدة لم يستطع النوم فيها لأنه كان يفكر في الذين يرتجفون من البرد في الخارج. أخذ الملحفة وباعها في السوق ووزع ثمنها على الفقراء. شاهد الثري الملحفة ثانية في السوق فاشتراها وأهداه إياها ثانية. باعها مجدداً. وهكذا فعل مرة ثالثة. وكان يقول في كل مرة «سنرى من يتعب أولاً أنا أم أنت». ولكنه كان مسروراً بذلك لأنه كان يستطيع أن يوزع المال على الفقراء. وإذا ما حاول أحدهم مدحه، كان يقاطعه مباشرة قائلاً: «ولكنني لم أهرق دمي عنك بعد يا أخي، كما أوصى المسيح».

وصلت مساعداته إلى أورشليم بعد الخراب الذي حل بها بعد غزو الفرس. كما أرسل عمالاً ليساهموا في ترميم كنيسة القيامة، متمنياً لو كان وضعه يسمح له بالذهاب للمساهمة في الأعمال.

نقص الموارد وكثرة الطلب والحاجة لم تسقطه في المساومة. يحكى انه عندما حصل جفاف في النيل وحلت المجاعة، قصد الكثيرون الإسكندرية. فاقترض يوحنا مالاً ليطعم الوافدين على أمل إرجاع المال خلال فترة قصيرة. إلا ان الأحوال لم تسمح بذلك، فتقدم إليه شخص اسمه قزما وعده بالمال الكثير والطعام لكل المحتاجين إن هو شرطنه شماساً. وكان هذا متزوجاً مرتين. رفض يوحنا المساومة على النعمة ولم يشرطنه، معتمداً على الله في إطعام شعبه. ولم يكد الثري يخرج من عند البطريرك حتى جاءه خبر رسو سفينتين محملتين بالذرة لإطعام الجياع. ركع يوحنا وصلَّى شاكراً الرب.

إضافة إلى أعمال الرحمة المباشرة، قام يوحنا ببناء المستشفيات لاستقبال المرضى والنساء الحديثات الولادة المعوزات. كما كان يوبخ التجار المتلاعبين بالأوزان والمقاييس، والسلطات المدنية التي تفرض الضرائب على الفقراء المرهقين. وكان يلفت العالم إلى ضرورة عدم قبول الوشايات، والتأني في الحكم، والعدل والإنصاف.

كان يهتم بتعليم المؤمنين الأخلاق المسيحية كما اهتم بإقامة ديرين للرهبان. وكان من عادة أهل الإسكندرية أن يتركوا القداس الإلهي بعد قراءة الإنجيل، فصار يخرج إليهم إلى الساحات لإقامة القداديس حتى صاروا يأتون دوماً إلى القداس ويتابعون إلى النهاية. وبمقدار ما كان راعياً محباً مع أبنائه، كان متشدداً مع الهراطقة، وكان يمنع الجميع من مشاركتهم في القدسات.

حياته كانت تجسيداً لكلمات الإنجيل. أما رقاده فكان عام ٦١٩، في قرية أماثوس في قبرص التي كان ماراً بها وهو في طريقه إلى القسطنطينية، بعدما اشتدت هجمات الفرس على الإسكندرية، وبعدما طلب منه الملك الإنتقال إلى هناك. وهكذا رقد بسلام في قريته وولُد من جديد في الملكوت. فبشفاعته أللّهم ارحمنا وخلِّصنا آمينالوقاية خير من العلاج

+ الوقاية خيرٌ من العلاج

السابعة من مساء الأربعاء ٢٥ تشرين الأول ٢٠٠٠، وفي رعاية سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس الجزيل الاحترام، افتتح مستشفى القديس جاورجيوس في بيروت مؤتمره السنوي السابع عشر وعنوانه «الوقاية خير من العلاج» في قاعة البتلوني في كلية الصحة العامة (مقابل المستشفى).

في برنامج الجلسة الافتتاحية كلمة المنسق العام للمؤتمر د. روبير صاصي، كلمة رئيس المؤتمر د. امين بركات، كلمة المدير الطبي د. نديم جلبوط، كلمة معالي وزير الصحة د. كرم كرم وكلمة ختامية لسيادة المتروبوليت الياس.

امتدت جلسات المؤتمر على مدى خمسة أيام (٢٥-٢٩ تشرين الأول) وهدفها الأول توعية المجتمع اللبناني على ضرورة حماية نفسه والوقاية من المرض قبل وقوعه، مما يوفِّر الألم وربما الموت بالإضافة إلى الكلفة المرتفعة للعلاج.

أبرز الموضوعات التي طرحها المؤتمرون، أمراض السرطان، أمراض السكري، الوزن الزائد، الاكتئاب، الاضطرابات النفسية عند الأطفال والمراهقين، التغذية السليمة، التشخيص المبكر والوقاية من الولادة المبكرة

وما ميّز المؤتمر هذه السنة فُتح للعامة وتخلّلته استشارات طبية وفحوصات مخبرية مجانية للراغبين.

في ما يلي الكلمة التي ألقاها سيادة المتروبوليت الياس في الجلسة الافتتاحية:

«ما الإنسانُ حتى تذكره أن ابنُ الإنسان حتى تفتقده» (عبرانيين ٢:٦).

أستذكر هذا القول في مناسبة مؤتمركم السنوي السابع عشر الذي شئتم موضوعاً له قولاً مأثوراً من غابر الأزمان: «درهم وقاية خير من قنطار علاج». وهل موضوع الوقاية غير الإنسان الذي يتحدث عنه كاتب الرسالة إلى العبرانيين ويضيف: «وضعته قليلاً عن الملائكة، بمجد وكرامة كلّلته وأقمته على أعمال يديك وأخضعت كل شيء تحت قدميه» (عب ٢: ٧-٨).

الإنسان إذاً أرقى مخلوقات الله، على صورته ومثاله خلقه الله، بالمجد والكرامة كلّله وعلى سائر المخلوقات سلّطه. جعله ذا قيمة رفيعة وهو الوحيد القادر أن يقيم حواراً مع خالقه يقيه كل انزلاق وسقوط حذّره منهما الله منذ لحظة تكوينه: من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت (تك ٢:١٧).

منذ خلقه كان الإنسان محطّ اهتمام الله. هيّأ له الله البيئة الصالحة والطبيعة الجميلة بكل ما فيها، ثم خلقه، ولكي لا يعيش وحيداً خلق له رفيقة ومعينة، وسلّطها على الخلائق لكنه طلب منهما الوقاية من شيء واحد: الشر، كي لا يسقطا: «يوم تأكل منها موتاً تموت».

لو بقي الإنسان في طاعة الله، لو حمى نفسه بحسب إرادة الله ونُصحه، لما قاسى المرض والفساد والألم والموت وكل ما نتج عن سقوطه من الفردوس. لو اعتمد الوقاية لما كان عليه ان يعالج نتائج خطيئته: «ملعونةٌ الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً تنبت لك، وتأكل عشب الحقل، بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أُخذت منها لأنك ترابٌ وإلى التراب تعود» (تك ٣: ١٧-١٩).

الله حذر الإنسان ونصحه بالوقاية، والتاريخ الديني كله مرتكز على ضرورة وقاية الإنسان من كل ما يؤدي به إلى الموت. والوقاية في الإنصات إلى وشوشات الله، في طاعته، في السير بهدي تعليمه، وقد اهتم بتعليم الإنسان بأنبيائه طيلة العهد القديم، ولما لم ينصت الإنسان تجسد الله وعاش بنفسه بين البشر كي يعلّمهم ويكون لهم المثال. ماذا بقي على الإنسان؟ بقي أن يبتعد عن كل ما يؤذي حياته ويدني قيمته، أن يحتذي مثال يسوع ليصل إلى الكمال، إلى قامة ملء المسيح.

الإنسان إذاً كان محور اهتمام الله قبل أن يكون محور اهتمام نفسه. وإذ حاز الخلاص بعد أن اشتُري بثمن باهظ، بدم المسيح، عليه أن يحافظ على ما اكتسبه وذلك بالتعلّم المستمر والتدّرب الدائم على الابتعاد عن كل ما يؤذي نفسه والجسد: «لا تصنع الشر فلا يستولي الشر عليك، تباعد عن الإثم فيميل عنك» (سيراخ ٧: ١-٢).

والوقاية في التعليم والتربية والتوعية. الإنسان لا يبتعد عن أي أذى إن لم يدرِّب على التمييز بين ما ينفعه وما يسيء إليه. المعرفة تبعده عن شر السقوط. التوعية تبعده عن الوقوع في المرض. الوقاية تنتج عن المعرفة، عن الوعي، وهما عاملان ضروريان لحثّ الإنسان على مجانية ما يؤذي جسده فتعتل صحته.

«الوقاية خير من قنطار علاج» قول مأثور اتخذتموه عنواناً لمؤتمركم لكنه يصلح عنواناً لبرنامج دائم يجب أن تتبعه هذه المؤسسة الاستشفائية وكل المؤسسات الاستشفائية الأخرى، بمعاونة وزارة الصحة العامة، من أجل توعية المواطنين وتدريبهم على الوقاية

تجنباً للأمراض وما يستتبعها من آلام ترهق الإنسان، ومن مصاريف ترهق كاهله وكاهل المجتمع.

هذا الموضوع في صلب اهتماماتنا ككنيسة لأن غاية رسالتنا هي الإنسان وصحة نفسه وعقله وجسده. والتوعية والتعليم في صلب اهتمامات مستشفانا وفي أساس التخطيط للكليات المستحدثة في جامعة البلمند، عنيت كلية الصحة العامة، كلية الطب والعلوم الطبية وكلية الاختصاصات الطبية التي اتخذت مركزاً لها في مجمّع القديس جاورجيوس الذي يستضيفنا اليوم. القصد الأول من إنشاء هذه الكليات هو الإنسان لأنها ستعدّ من سيتعلّم الطب أو يتخصّص في إحدى اختصاصات الطب أو علوم الصحة من أجل الاهتمام لاحقاً بالإنسان ومساعدته في حياته كي يحافظ على صحته النفسية والعقلية والجسدية.

«أَمَ لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل الروح القدس الذي فيكم، الذي لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم لأنكم اشتُريتم بثمن، فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله» (١ كور ٦: ١٩-٢٠). بارك الله جهود كل من حافظ على جسده هيكلاً مقدساً للروح القدس، وجهود كل من يساعد الإنسان على الحفاظ على نفسه وجسده صورة نقية للإله الخالق.

+ مَنْ يهتم؟

دخل كاهن قرية صغيرة إلى الكنيسة حاملاً قفص عصافير مهترئاً ووضعه أمام المؤمنين. تفرّس هؤلاء بالكاهن طالبين تفسيراً لعمله فقال: كنت أسير في البلدة يوم أمس حين شاهدت صبياً متجهاً نحوي ويؤرجح هذا القفص، وفي داخله طيور برية صغيرة ترتجف من البرد والخوف. سألت الصبي «ماذا بحوزتك؟» أجاب «بعض العصافير المسنّة». «وماذا ستفعل بهم؟» أجاب: «سوف آخذها إلى منزلي وأتسلى بها، أُثير غضبها وأنتف ريشها وأجعلها تتصارع. سوف أستمتع جداً». «لكنك سوف تسأم منهم سريعاً. ماذا ستفعل عندئذٍ؟». أجاب: «أطعمها للقطط. إنها تحب الطيور». صمت الكاهن قليلاً ثم سأل الصبي كم يريد ثمن هذه الطيور، فأجابه: «أنت لا تريد طيوراً مسنّة لا تغني وليست حتى جميلة». وبعد إصرار الكاهن قال الصبي «أريد عشرة دولارات ثمن الطيور». نقده الكاهن ثمنها وتوارى الصبي. حمل الكاهن العصافير وذهب بها إلى الجبل حيث الشجر الكثير. فتح باب القفص وأطلق العصافير الثلاثة إلى الحرية. هذه القصة تفسر القفص الفارغ أمام المؤمنين.

ثم روى الكاهن القصة التالية: في أحد الأيام تحاور يسوع والشيطان، وكان الشيطان قد عاد لتوه من حديقة عدن حيث كان يصول ويجول. قال الشيطان: «نعم يا سيدي، لقد أوقعت الناس كلهم. لقد نصبت لهم فخاً لن يستطيعوا مقاومته». سأل يسوع: «ما هو؟». أجاب الشيطان: «سوف أستمتع كثيراً. سوف أعلّمهم كيف يتزوجون ثم يطلّقون، كيف يكرهون بعضهم ويستغلون بعضهم، كيف يدخنون ويلعنون. سوف أعلّمهم اختراع المدافع والقنابل وكيف يتقاتلون. حقاً سوف أستمتع كثيراً. ثم سأله يسوع «بعدها ماذا ستفعل بهم؟». أجابه بفخر: «سوف أقتلهم». سأله يسوع: «كم تريد ثمنهم؟» أجابه: «أنت لا تريدهم لأنهم غير صالحين. لماذا تريدهم؟ فبعد أن تأخذهم سوف يخونونك ويكرهونك. سوف يبصقون عليك ويلعنونك ويقتلونك. أنت لا تريد هؤلاء الناس». أصر يسوع على سؤاله. قال الشيطان: «كل دموعك وكل دمك». وافق يسوع ودفع الثمن. الصليب.

حمل الكاهن القفص وخرج من الكنيسة معطياً إياهم فرصة للتأمل.

ملاحظات:

مضحك مبكٍ كم هو سهل على الناس أن يرموا بالله خلف ظهورهم، ثم يتساءلون لماذا يسير العالم نحو الجحيم.

مضحك مبكٍ اننا نصدق كل ما تقول الصحف ووسائل الإعلام، ونشكّك بما يقوله الكتاب المقدس.

مضحك مبكٍ أننا مستعدون لإرسال آلاف النكات عبر البريد الإلكتروني ونشرها، ونفكر مرتين قبل أن نرسل رسالة واحدة تتعلق بالرب.

مضحك مبكٍ أننا نتناقل النكات السخيفة والكلام القبيح بسهولة وسرعة، ويُمنع علينا الكلام عن يسوع في المدرسة وأماكن العمل.

مضحك مبكٍ أن أهتم ماذا سيفكر الناس عني